أهمية التعريب والمصاعب التى تواجهه ومقترحات للتغلب عليها

إعـــداد

محمد محمد عتريس إبراهيم(*)

أهمية التعريب:

كان بقاء الأمم وتقدمها مرتبطاً، دوماً، بتشبثها بأصولها المتمثلة في لغتها ودينها، وكان تهاونها في الحرص على هذه الأصول مدعاة لتقهقرها ورجوعها إلى المؤخرة في كل ميادين الحياة.

ما الأمة؟ هى جماعة الناس الذين يكونون وحدة سياسية، وتجمع بينهم وحدة الوطن واللغة والتراث والمشاعر(١).

وما اللغة؟ هى أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهى مجموع الكلمات والأنظمة المتبعة في استخدام هذه الكلمات والتى تشيع بين أناس ينتمون إلى مجتمع واحد أو أمة واحدة أو إلى منطقة جغرافية واحدة، أو إلى أعراف ثقافية واحدة(٢).

وربما كانت اللغة أهم الوشائج العملية لجمع أبناء الأمة، إذ هى وسيلة التخاطب، ومن ثم تقوم بينهم الصلات والروابط، وهى وعاء تراثهم، والبعد عن هذا الوعاء يؤدى إلى إضعاف كيان الأمة وتدهور أحوالها.

(*) وكيل الوزارة – مجلس الشعب

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة

٢) Webster's Encgclopedic unabridged dictionary.

وتعرف موسوعة فنك آند وجنالز (Funk and Wegnalls) الأمريكية اللغة بأنها:

"Communication between human beings clarac terised by the use of arbitrary، primarity audible symbols with conventional meanings".

أي هى: الاتصال بين كائنات بشرية يتسم باستخدام رموز اعتباطية هى ـاعية في المقام الأول ولها معان متعارف عليها.

ويلقننا التاريخ الدرس التالى: تفرض الأمة أو الإمبراطورية الغازية لغتها بالقوة على شعوب البلدان التى تغزوها، فاللغة إذن رمز الاستقلال ، علامة عليه[٣].

ويتحدث نفس المرجع عن محاولات إيجاد لغة عالمية والصعوبات التى واجهتها فيقول: وأي لغة قومية حية اقترحت لتكون لغة عالمية ثبت استحالة تطبيقها أو استخدامها عمليا بسبب صعوبة تعلمها من ناحية، وبسبب تحيز أبناء كل أمة للغتهم القومية.

وللأمم في تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها، وأصحاب العصبيان القومية يتغنون فخراً بألسنتهم وطبائعهم وعقولهم على عادة جميع الأقوام، فإسرائيل، جارنا اللدود المفروض، تبعث من غابر الزمان لغة اندثرت هى العبرية، وتصر على التعامل بها لغة رسمية، وتفرض على كل اليهود الذين يهاجرون إليها تعلمها والتحدث بها، وتفرض على المجتمع الدولى كلمات عبرية مثل الشيكل، عملتها، ومثل أورشليم، أي القدس، التى تسر على أن تكون عاصمة لها.

---

٣) Funk and wagnalls Encyclopedia.

وفي الولايات المتحدة نرى محاولات دءوبة من جانب الأمريكيين لتكون لهم لغتهم الخاصة بهم، ونتيجة لجهودهم هذه زحفت إلى الإنجليزية كلمات وعبارات أمريكية الصنع أي Americanisms وهى الكلمات أو العبارات أو أي سمات لغوية أخرى تختص بها اللغة الإنجليزية التى يتحدث بها الأمريكيون فاستخدام الأمريكيون مثلا كلمة elevator بمعنى مصعد لتحل محل كلمة lift الإنجليزية، واستخدموا كلمة fire بمعنى يقبل بدلاً من كلمة dismiss الإنجليزية، ووضع قاموس وبستر webster الشهير في إحدى طبقاته نجمة على كل كلمة أمريكية، ونبه قاموس لونجمان longman إلى هذه الكلمات الأمريكية بوضع المختصر Am E (American English) أي الإنجليزية الأمريكية قبلها. وهكذا ظهرت لغة اسمها الإنجليزية الأمريكية.

وفي فرنسا قامت مؤخراً حملة حكومية وقومية عامة تحظر استخدام الكلمات غير الفرنسية، والألمان لا يعترفون بغير لغتهم الألمانية لغة للتخاطب على المستويين الشعبى والرسمى.

ونحن أبناء العربية، واجبنا أن نعتز بلغتنا وأن نغار عليها، وإنه لشعور غريزى أن يعتز الإنسان بلغته، فلغة الأمة عنوان ثقافتها وحضارتها، ولذلك تعنى الأمم كافة بلغاتها وتعمل على ترقيتها ورفعة شأنها، وحق للعربية أن يعض عليها ابناؤها بالنواجذ، لأنها لغة عبقرية تجمع لها من أسباب التفرد والتيه على لداتها ما يأتى:

(١) تمام العربية واكتمالها، فهى لغة عريقة بلغت في تطورها شأوا بعيداً من العظمة والرقى لا يمكن أن يتأتى لأية لغة قبل مضى أجيال طويلة على نشأتها، وآية هذا التمام والكمال التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب، أو بين صيغ المشتقات، أو بين أوزان الجمع والمثنى، وجموع الكثرة والقلة، وهناك حروف الجر والعطف وسائر الحروف التى تدخل في تركيب الجملة

بمعانيها المختلفة وتتفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء والأفعال التي تولدت منها، وهي في بعض اللغات لم تتفصل عنها حتى اليوم[٤].

لقد توفرت، بحكم تخصصي، على دراسة قواعد النحو الإنجليزى (English grammar) سنوات طوالاً، كما ألجأني عملي في مجال الترجمة إلى ضرورة دراسة النحو العربى، وما برحت مفتوناً باتساع مداه وشموله، وعمق فحواه ودقته، إذ قدم علماؤه من القواعد آيات ساطعات في التوافق مع العقل والمنطق ومع مقتضيات التعبير والتوضيح، وأحسب أن النحو الإنجليزى، مع حبى له وإعجابى به – إن هو إلا شيء يسير إذا ما قورن بنحو العربية، ذلك المحيط التليد، ولأضرب لكم مثلاً إعراب جملة كما وردت في «شرح حسن الكفراوى على متن الأجرومية» لنرى القمة الساحقة التى بلغها نحونا العربى من إحاطة وشمول، قال جدنا الكفراوى (توفى ١٢٠٢هـ) يعرب جملة «جاء زيد والفتى والقاضى وغلامى» جاء فعل ماضى، وزيد فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، والفتى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، والقاضى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، وغلامى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وغلام مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون في محل جر».

أرأيتم كيف استقصى الإعراب كل كلمة وكل حرف وكل حركة؟

---

(٤) راجع اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد، ص ٥، ٦.

ولأضرب لكم مثلاً آخر من التنزيل العزيز، قال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم[٥] والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾[٦]، قرأ ابن كثير وحمزه والكسائى وحفص عن عاصم، ﴿مُتِمُّ نورِه﴾ بإضافة نوره إلى «متم» وفي هذه القراءة يمنع تنوين «متمٌ» وجوباً للإضافة[٧]. (ونورِه) مضاف إليه مجرور. وقرأ الباقون (مُتمٌّ نوره) بتنوين (متم)

ونصب «نوره» على أنه مفعول (مُتمٌّ) ويزخر القرآن العظيم بالكلمات والمواضع التى تتعدد فيها، أو تتعدد لها – القراءات، ولكل قراءة مبرراتها ووجاهتها، وكل منها تزيد المعنى لمعانا وبيانا، وكل منها آية من آيات الإعجاز القرآنى والإعجاز اللغوى العربى، ويغرينى المقام بسوق مثل ثالث هو قوله تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾[٨] قرأ ابن كثير «يسرى» بإثبات الياء في الوصل وفي الوقف لأنها ليست بمجزومة فثبتت فيها الياء.

وقرأ نافع بإثباتها في الوصل وبحذفها في الوقف، وقال الخليل، تسقط الياء منها اتفاقاً لرءوس الآى، وقال الفراء: قد تحذف العرب الياء وتكتفى بكسر ما قبلها، حتى الحرف لم يفلت من البحث والتمحيص والاستقصاء[٩].

---

(٥) المعنى: يريدون أن يطفئون دين الله أو كتابه أو حجته المنيرة بطعنهم فيه، وإنما مثلهم في هذا كمثل من ينفخ في نور الشمس بفمه ليطفئه – وهذا من باب التهكم بهم والسخرية منهم.

(٦) سورة الصف الآية ٨.

(٧) راجع مواضع حذف التنوين ص ٤٣، الجزء الأول من النحو الوافى بين فتح القدير، الشوكانى، الجزء الخامس، ص ٣١٤.

(٨) سورة الفجر الآية ٤.

(٩) راجع «يسر» ص ٢١١ من «شرح ومعانى جزء عم»، محمد محمد عتريس إبراهيم، =

(٢) ويقودنا هذا إلى سبب ثان من أسباب تفرد العربية وتميزها على لداتها، ذلك أن العربية لغة دين سماوى ذى خطر، وبها كتبت أصول هذا الدين تشريعا وحكمة وثقافة، وعلى رأس هذه الأصول القرآن العظيم، معتمد المسلم ومرجعه في شئونه الدينية وعقيدته الروحية، ودستوره في حياته العملية، وقد قدس النص القرآنى كما أنزل بالعربية الفصحى، فبقيت ملازمة له، تكاد تقدس معها نصوصها، ولما كانت العقائد الدينية راسخة في القلوب، فإن العربية باقية بقاء الإسلام، أي القرآن.

ولما كانت العربية قد بلغت، حين نزول القرآن، مدى بعيدا من قوة البيان وفصاحة التعبير، وكان القرآن موضع التحدى للعرب أن يأتوا بسورة من مثله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[١٠]، لما كان ذلك اعتبر القرآن الكريم اسمى نمط للعربية الفصحى، وأعلى نموذج للبيان المعجز، فظل القبلة الخالدة في استلهام انصع الأساليب لنظم الكلام. فما دام القرآن محفوظا، والإسلام قائماً، فلن يكتب لهذه اللغة الفناء - وكيف لا يبقى محفوظا وقد تكفل الله بحفظه، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

٩- الحجر، والآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في شأن الوحى وتلقى هذا القرآن: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾[١١].

=سلسلة كتاب الجمهورية.

(١٠) سورة الإسراء الآية ٨٨

(١١) سورة القيامة الآيات من ١٦ إلى ١٩.

هذه الآيات تترك في النفس إيحاء هو تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن، وحياً وحفظاً وجمعاً وبياناً، وإسناده إليه - سبحانه وتعالى - بكليته، وليس للرسول - صلى الله عليه وسلم - من أمره إلا حمله وتبليغه، وذلك في الحق أعظم الأسباب التى صانت العربية من الزوال في الماضى والحاضر، وسيكون السبب الذى يمدها بعوامل البقاء في المستقبل، والعقيدة ناموس طبيعى آخر لا تستغنى عنه البشرية بحال - فبقاء العربية، إذن، نظام يجرى وفق سنة طبيعية بشرية صحيحة لا يعتريها التبديل، ولأن لغتنا العربية قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية، فقد تعرضت - وحدها - بين لغات العالم لكل معاول الهدم تنصب عليها ولدسائس الراصدين تحيط بها.

٣- المزايا التى تنفرد بها اللغة العربية مزايا علمية تستند إلى خصائص النطق والتعبير المتفق عليها في العلوم اللسانية، ولا محاباة فيها لهذه اللغة أو تلك، أي أن هذه المزايا ليست قائمة على تعصب قومى، على عادة جميع الأقوام في التعصب لألسنتهم وعقولهم.

ومزاياها في التعبير عامة، وفي التعبير الشعرى خاصة، تقوم على قواعد العلوم اللسانية. فاللغة المعبرة هى التى تضع معجمها بين يديك، فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها. ولا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز، ونحن نعلم أن المجتمع العربى في قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى، وأن الكلمات التى تدل على معنى الجماعة في لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية.

فالأمة هى الجماعة التى تؤم مكاناً واحداً، أو تأتم بقيادة واحدة.

والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا، والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة، والفئة هى الجماعة التى تفئ إلى ظل واحد، والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه (أى يرجعون) بعد الرحلة عنه، والقوم في جملتهم هم الذين يقومون قومة واحدة للقتال خاصة.

وفي دلالة أسماء الأمكنة نجد المنزل حيث ينزل الإنسان. والبيت حيث يبيت بالليل.

وفي الكلمات التى تدل على الرابطة الاجتماعية نجد الصاحب وهو من يمشى معك في السفر، والقريب الذى يقترب من منزلك. والعدو الخصم الذى يعدو على جوارك.

وفي المعانى المجازية نطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر. والتتبع من السير وراء الرجل، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره. والجيش من جيشان الحركة في الأمكنة المتعددة أو في المكان الواحد، والبلاغة من التبليغ أو البلوغ إلى المكان[١٢].

٤- وبالنسبة للنطق هناك حقيقة تقول بأن النطق الفصيح هو فضيلة الحيوان الناطق، وإن الفصاحة العربية قد بلغت بأداة النطق الأدمية غاية ما بلغه الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف، ففصاحة النطق ميزة نادرة تمتاز بها اللغة العربية، وهذه حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء واللفظ الفصيح هو اللفظ الصريح الذى لا لبس فيه ولا اختلاط في أدواته، وهذا هو اللفظ العربى بدليله العلمى. فلا لبس بين مخارج الحروف في اللغة العربية ولا إهمال لمخرج منها، ولا حاجة فيها إلى تكرار النطق من مخرج واحد، تتوارد منه الحروف التى لا تتميز بغير التثقيل أو التخفيض.

(١٢) راجع فصل «لغة التعبير» من كتاب «اللغة الشاعرة»، عباس محمود العقاد.

فليس في اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين، وليس في النطق العربى مخرج ينطبق فيه حرفان. فمثلا ليس في اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف تش في اللغة اليونانية (x) وهو خليط من التاء والشين، وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو الثاء اللذين يكتبان عندنا مما يقابل التاء والهاء (th) ويتغير النطق بهما في مختلف الكلمات. ولاتزدحم أصوات الحروف في اللغة العربية على مخرج واحد. كما تزدحم الفاء والفاء الثقيلة (&.v) والباء والباء الثقيلة (b, p) في اللغة الإنجليزية والعربية تتسع من أقصى الحلق إلى أدناه لسبعة حروف هيالهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء، وهى مميزة في النطق بغير التباس ولا ازدواج في الأداء، على حين نجد أن أصوات الحلق أهملت جميعا في كثير من اللغات(١٣).

٥- كانت العربية أسبق اللغات إلى تصنيف المعاجم اللغوية ولنرجع إلى مرسوعة، فنك آند وجنلز (Funk and Wagnalls) الأمريكية، المجلد الثامن، مادة Dictionary (معجم) تقول الموسوعة: ظهرت المعاجم أول ما ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت في معظمها تجمعا للكلمات والمعانى النادرة، أما ما تلا ذلك من قواميس فجاء متأخراً إذ كتبت بعد القرن الخامس الميلادى، وكانت تكتب نظما. ويمكن تقسيمها إلى صنفين.

صنف للألفاظ المترادفة وآخر للألفاظ المتجانسة، وظهرت في اللغة السنسكريتية المعاجم المتخصصة في النبات والطب والفلك وغيرها.

أما أول محاولة لجمع كل مفردات اللغة في مؤلف واحد، فإن الاحتمال الأرجح أنها كانت على يد الخليل بن أحمد العمانى (توفى عام ٧٩١م) الذى لم يتبع في ترتيب الكلمات النظام الأبجدى وإنما رتبها وفق مبادئ علم النطق

(١٣) راجع فصل (الفصاحة العلمية)، المصدر السابق.

وعلم فقه اللغة، وجاء تأليف المعاجم العبرية في القرن العاشر الميلادى، وكان منشؤه والدافع إليه دراسة اللغة العربية.

وخطت صناعة المعاجم في بعض اللغات خطوات عملاقة نحو الكثرة والتنوع في الأحجام والتخصص في فروع المعرفة.

ونخص بالذكر المعاجم الإنجليزية، أما أبناء العربية فارتدوا على أعقابهم، وتقاعسوا عن النهوض بالمعجم العربى.

٦- اللغة العربية أداة عالمية من أدوات النطق الإنساني بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، ولذا باتت حمايتها واجبا قوميا وإنسانيا، وكم تكون خسارة العالم فادحة لو أصاب العربية مكروه!.

المصاعب التى تواجه التعريب

أول هذه المصاعب وأفدحها تخلفنا، نحن أبناء العربية في مجالات العلم والتكنولوجيا والاكتشافات والمعرفة بصفة عامة، ذلك أن الحاجة إلى سك كلمات جديدة مرتبطة بعمليات البحث والاكتشاف والاختراع.

فمثلاً كلمة morphine (مورفين) التى دخلت الإنجليزية عام ١٨٢٨م، كلمة ألمانية الأصل morphin. والمورفين مادة حريفة شبه قلوية بلورية، وهى بيضاء أو عديمة اللون، وتستخرج من مادة الأفيون وتستخدم في الطب لتخفيف الآلام. لكن كيف سميت بها الأسم؟ الذى أطلق عليها هذا الأسم الصيدلى الألمانى شرتورنر (serturner)[١٤] الذى كان له الفضل في فصل هذه المادة من الأفيون بعد ما قام به من أبحاث، والكلمة مشتقة من كلمة مورفيوس (Morpheus) اللاتينية ومورفيوس هو إله الأحلام في الأساطير الإغريقية، ويبدو أن شرتورنر ربط بين غياب الوعى المؤقت أثناء النوم وأحلامه وبين فقدان الإحساس بالألم عند تناول المادة التى فصلها عن الأفيون فنسبها إلى إله الأحلام مورفيوس.

ولنأخذ مثلاً آخر. كلمة Pasteurisation أي البسترة بالعربية وتعنى التعقيم الجزئى للمادة (وخصوصاً اللبن) عند درجة حرارة تكفى فقط لتدمير البكتريا الضارة ودون إحداث تغيير كيميائى جوهرى للمادة يقلل من فائدتها. والذى اخترع طريقة التعقيم هذه هو العالم الفرنسى لوى باستير فنسبت إليه وسميت باسمه. ولو افترضنا مثلاً أن الذى اخترع هذه الطريقة عربى يسمى راشد، إذن كانت ستنسب إليه، وبدلاً من أن نقول بسترة اللبن كنا سنقول

---

(١٤) ولد في عام ١٧٨٣م وتوفى في ١٨٤١م، انظر:

Chamber's Biographical Dictionary

ترشيد اللبن – وعند ذاك كان سيقع على غير المتحدثين بالعربية عبء إيجاد كلمة في لغاتهم تعبر عن هذا المعنى.

فنحن إذن نواجه مشكلة لغوية تعبيرية ناتجة عن مشكلة أخرى هى تخلفنا في مجال المعرفة، والأمثلة في هذا الصدد تجل عن الحصر.

ثانياً: الكثير من المقابلات العربية التى أوجدناها للكلمات الأجنبية تبدو غير سائغة وهذا واحد من أسباب عدم دورانها على الألسنة، خذ مثلاً كلمة (تَجْوِيَة) التى وضعها مجمع اللغة العربية مقابلا لكلمة (Weathering) الإنجليزية وتعنى التغيرات التى تطرأ على الصخور نتيجة لتأثير العوامل الجوية مثل المطر والصقيع والبرد والرياح وتعاقب الاختلاف في درجة الحرارة[١٥] وربما استثقل البعض كلمة «تجوية» خصوصاً في أيامنا هذه التى تتعرض فيها لغتنا الحبيبة لكيد السفهاء الجهلاء وسخرية الرذلاء الأخساء، فهل يمكن استبدال كلمة «تجوية» بـ «التغيرات الناتجة عن العوامل الجوية» وهنا يثور سؤال جدير بالاهتمام: هل الأفضل أن يكون المقابل العربى للكلمة الأجنبية كلمة واحد مهما بدت غريبة أو غامضة، أو أنه يمكن أن يكون المقابل أكثر من كلمة ابتغاء السلاسة والوضوح؟

وعلى نفس الصفحة مع كلمة «تجوية» عرض المجمع المقابل العربى لكلمة (Water control) على أنه ضبط الماء، وربما كانت كلمة «التحكم في الماء» أقرب إلى الأذهان.

وفي صفحة ٢٣٥ من ذات المصدر أورد المجمع كلمة «القابلية

---

(١٥) انظر محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الرابعة والأربعين ص ٣٥٦ و٣٥٧.

للتواؤم» مقابلاً للكلمة الإنجليزية (adaptabiltity) وربما كانت كلمة «القدرة على التكيف» أقرب إلى التداول.

وفي صفحة ٢٣٧ أورد المجمع كلمة «تعليم الراشدين» مقابلاً لكلمة (adult education) وأعتقد أن القصود هو «تعليم الكبار» وهى الشائعة.

وربما بدت الغرابة أكبر عند نحت بعض الكلمات أي تركيب الكلمة من كلمتين أو كلمات، مثل كلمة «يتر يترطب» مقابلاً لكلمة (denaturalise) أي ينزع عن الشئ خصائصه الطبيعية، فالجزء الأول من «يترطب» مأخوذ من ينزع، والجزء الثانى من طبيعية. اكن يمكن أن يكون مقابلها «يمسخ».

ثالثاً: الكلمات المشاكسة التى يصعب تطويعها وإيجاد مقابل عربى لها، وما أكثر هذه المشاكسة، وطالما عركتنى وعركتها، وما برحت تجهد الذهن وتقض المضجع، ويلقى المترجمون من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية العنت الشديد حيال هذه الكلمات التى يضرب أصحاب المعاجم الإنجليزية/ العربية صفحا عن ذكرها وتيفادون إثباتها في معاجمهم، أو يوردون، في أحسن الأحوال، عبارات مطولة لشرحها.

ومن الأمثلة على ذلك كلمة transparency التى جاء مقابلها العربى في معاجمنا الإنجليزية/ العربية شفافية، وكانت الكلمة قد وردت إسما لمنظمة دولية أنشئت مؤخراً لمقاومة الرشاوى والعمولات الحرام على المستوى الدولى وهى منظمة Transparency International[١٦].

---

(١٦) تم التفكير في إنشائها في برلين عام ١٩٩٣م، تضم خبراء بارزين في مجال العمل بوكالات التنمية والمعونة الدولية، وتهدف إلى القضاء على الفساد في أعمال المقاولات الدولية، صحيفة فينانشال تايمز ٥ مايو ١٩٩٣م.

وقد رجعت إلى قاموس: (Webster's Ninth New collegiate dictionary) ووجدت معنى ثانياً لكلمة transparent لم يرد في معاجمنا الإنجليزية/ العربية هو free from pretense or deceit أي المنزه عن الغش والخداع، أي المستقيم هذه هى الصفة والأسم منها الاستقامة. وعلى ذلك يكون المقابل العربى لكلمة transparency هو: ١- الشفافية، ٢- الاستقامة، ويكون اسم المنظمة: منظمة الاستقامة الدولية.

ولنأخذ مثلاً آخر هو كلمة backbench التى لم ترد في معاجمنا الإنجليزية والعربية. لكنها وردت في معجم Longman وشرحها:

members of parliament who do not hold official positions in the Goverment or Opposition and who sit on the back seats.

أي: الأعضاء العاديون أو أصحاب المقاعد الخلفية في البرلمان.

ولنأخذ مثلا ثالثاً يبين طول العبارة التى أوردها معجم «المورد» شرحاً لكلمة activism مذهب الفعالية، مذهب يؤكد على ضرورة اتخاذ الإجراءات الفعالة أو العنيفة، (كاستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية) وأرى أنه من الممكن أن يكن مقابلها العربى: عنف سياسى.

رابعاً: تعودنا على استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية رغم أن الأخيرة أسهل وأرق، ويسهل التعرف على مدلولاتها وفهمها. ومن ذلك: التليفون - الهاتف، التلعراف، البرق، الجول[١٧]، الهدف، كونسلتو، هيئة طبية، السكرتير، الأمين، اليوبيل الفضى، العيد الفضى، الماتش[١٨]، المباراة،

---

(١٧) تنطقها الجماهير جون، وهذه ليست إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ.

(١٨) تنطقها الجماهير مطش، وهذه ليس إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ شأنه، وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلاً من العربية.

الكوفرتة، الغطاء، ترابيزة السفرة، المائدة، الشماعة، المشجب، البرافان، الساتر، سكندهاند، مستعمل أو نصف عمر، سندوتش: شطيرة دركسيون، عجلة القيادة، بترون، نموذج، وغيرها كثير مما أورده الأستاذ محمود تيمور في مؤلفه «معجم الحضارة» الذى صدره، بمقدمات مفيدة في مجال التعريف وطرائفه هى: هذا المعجم، كلمات طبية، ألفاظ الحضارة، وصراع الفصحى والعامية، ويمكن أن تكون محل مناقشة ومدارسة.

وربما لاحظ القارئ صعوبة قراءة هذه الكلمات الأجنبية حال كتابتها بالعربية، فرغم أن نطقها مألوف الا أن رسمها بالعربية يبدو غريبا ويتعسر نطقه – وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية.

ولا يستغربن مستغرب إمكانية العدول عن اللفظ الأجنبى إلى بديله العربى الواضح. فمثلا كانت كلمة «البوستة» هى المستخدمة على المستويين الحكومى والشعبى منذ حوالى أربعين عاما عندما استبدلتها الحكومة – إبان صحوة وغيرة قومية شملتا لغتنا الحبيبة – بكلمة (البريد)، فشاعت هذه الأخيرة وذاعت. وكان من ثمار تلك الصحوة ما بذل من محاولات آنذاك لاستبدال اللافتات الأجنبية للمحلات التجارية والشركات والمنتجات بأخرى عربية.

خامساً: القصور الشديد في معجمنا العربى، فمعاجمنا العربية اللغوية قليلة قليلة، كما أن معاجمنا العربية المتخصصة في فروع العلم والمعرفة لا وجود لها تقريبا. بينما المعاجم الأجنبية، والإنجليزية منها خاصة كثيرة كثيرة وتجل عن الحصر، ومستوياتها متنوعة ومتدرجة تبدأ بمستوى تلاميذ الابتدائى وتنتهى بالمستوى اللازم للعلماء والباحثين وبين هذا وذاك عشرات

الأحجام والمستويات، وتجديدها دائم إذ تصدر كل عام طبعة جديدة تضم ما استجد من كلمات ومصطلحات وتراكيب لتواكب تطورات الحياة والعلوم وأحداث السياسة وتقلبات الأحوال، فتسعف الباحث بضالته والطالب ببغيته.

كنت أعمل في دولة عربية منذ سنوات ووجدت بين يدى التلاميذ معاجم إنجليزية متدرجة: لكل مرحلة تعليمية معجمها، وهو أمر محمود، لكن العربية لا معاجم لها، يا للخيبة ويالليأس! وهنا يبرز سؤالاً وماذا عندنا من المعاجم العربية؟ من المعاجم القديمة ما لا يزيد على عدد أصابع اليد لعل أبرزها "لسان العرب" الذى جمع ابن منظور المصرى (وتوفى ٧١١هـ - ١٣١١م) ما ضمته كتب السابقين - لكنه لم يعد بقى بحاجتنا بعد سبعة قرون.

وظهرت معاجم حديثة لكنها، فضلاً عن ضآلة عددها، لا تشفى غليلاً، ومنها ما يعتوره نقص مشين كذلك الذى أغفل - في طيش وجهالة - الشواهد القرآنية المعجزة في بيانها. وربما كان (المعجم الوسيط) و(المعجم الوجيز) الصادران عن مجمع اللغة العربية أفضل ما صدر من معاجم حديثة، ومنهما تنهل المعاجم الأخرى. صدر من (الوجيز) طبعة واحدة ومن حسن الطالع أنه يوزع على تلاميذ المرحلة الثانوية، وهو معجم جيد يناسبهم - لكن لابد من تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر.

أما (المعجم الوسيط) فصدرت طبعته الأولى في عام ١٩٦٠م والثانية في ١٩٧٢م بفارق اثنى عشر عاماً، وهى مدة طويلة جداً، والأطوال منها السنوات التى مرت على الطبعة الثانية وتقارب ربع قرن - مما يجعله متخلفا عن مواكبة ما استجد في العصر من كلمات ومصطلحات في شتى المجالات. كما أن بعض شروحه موجزة إيجازا مخلاً فمثلاً جاء فيه أن يوم التروية هو الثامن ذى الحجة، ولم يوضح أنه يوم قبل يوم عرفة، وسمى كذلك لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى، ولا ماء بها، و(الوسيط) لا

يسعف من يلجأ إليه طالباً شرحاً أو باحثاً عن معنى، فمثلاً لم يتناول كلمة «عهد الرواية» لا في مادة عهد ولا في مادة روى. كما أغفل تعريفات نحوية هامة مثل الفعل الأجوف (ما كانت عينه حرف علة) ومثل الفعل الناقص (المعتل الآخر) ومثل الاسم المقصور (المعرب الذى في آخره ألف لازمة) وغير ذلك كثير. وأبناء العربية يطالبون مجامعهم اللغوية – ولهم كل الحق في مطالباتهم – بإخراج معاجم تسعف الباحثين والدارسين بكل ما يحتاجونه في لغتهم من لفظ أو ضبط أو تعبير و معنى – لم لا يخرج المجمع معجما حجمه يماثل ضعف حجم (الوسيط) ومعجماً ثانياً حجمه ثلاثة أو أربعة أمثالا الوسيط، مع تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر؟ والحديث عن "المعجم الكبير" التاريخى غير وارد تماما في هذا السياق، فسوف يستغرق بناؤه نصف بلينيوم.

وفي اللغة الإنجليزية نجد المعاجم المتخصصة في كل فرع: في الطب، الهندسة، الذرة، الموسيقى، الأدب..الخ، وهذه النوعية من المعاجم العربية/ العربية المتخصصة غير معروفة عندنا تقريباً، ونفس القصور قائم بالنسبة لدوائر المعارف والموسوعات[١٩] مما الجأنا إلى المعاجم والموسوعات الأجنبية نأخذ عنها – وهو أمر ترد عليه محاذير وتحف به مخاطر لعل أدناها الإحساس بالدونية والانبهار والافتتان بالأجنبى. ولابد من الإشارة هنا إلى إصرار الغرب بزعامة أمريكا على ضرورة إدخال المواد الثقافية ضمن اتفاقية الجات الجديدة وتجريم نقلها أو الأخذ عنها إلا بإتفاق مع مؤلفيها.

(١٩) أخرجنا منذ ثلث قرن «الموسوعة العربية الميسرة» تلك اليتيمة المبتسرة التى لم تقو على البقاء.

سادساً : تفشى العامية في أحاديث المسئولين وفي مجلس الشعب وفي وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون. بل والإصرار على إستبعاد الفصحى، وهو أمر محزن حقا خصوصا إذا عقدنا المقارنة بين أسلوب الكتابة في الصحافة الإنجليزية مثلاً وأسلوب الكتابة في صحافتنا المصرية، فالبون شاسع والهوة سحيقة ولا تلق بالا إلى من ينادى بتدنى لغة الصحافة لتلتقى مع العامية إن المرء ليتوقف أمام سطور وصفحات في صحيفة Financial Times أو في صحيفة International Herald Tribune مثلاً وكل منهما يومية إنجليزية، يتوقف المرء إعجاباً وانبهاراً بدقة التعبير وسحر البيان والقدرة الباهرة على الصياغة بأسلوب أدبى رفيع، وتطول الجملة وتطول والكاتب الصحفى ممسك بالزمام مسيطر على المعنى ينساب في وضوح. مستوحياً آثار الأدباء البليغة مستدعياً معلومات موسوعية عميقة تؤكد وتبرز ما يرد من معنى، وهل أتاكم نبأ معجم مجلة «الإيكونوميست» الأسبوعية البريطانية الشهيرة التى تحرر موادها بأسلوب عال لا يقدر عليه إلا ذوو المستويات العالية والثقافات الرفيعة. نعم! مجلة لها مفرداتها ومعجمها.أما العربية فرزئت بأبناء جهلاء. والصديق الجاهل أشد ضرراً – راحوا يروجون لمغالطة تزعم أن للصحافة لغة وسطا بين العامية والفصحى. وهى فرية يذيعها من قصرت همتهم عن إجادة العربية أو من باع نفسه وأصوله لأعداء لغتنا الشاعرة الجميلة، ولست بحاجة إلى التذكير بأن إنتشار العامية يعنى تجزئة أوصال الوطن العربى – فالعربية الفصحى من أهم دعائم توحيد الأقطار العربية. فالعامية كما هو معروف مرتبطة بالمحلية لا يفهمها إلا أهل حِلّتها[٢٠]، فالمصرى ذو اللهجة الصعيدية يتعذر عليه التخاطب والتفاهم مع

(٢٠) الحِلّة : جماعة البيوت.

أبناء اللهجة السعودية أو المغربية مثلاً. ثم إن العامية لا قواميس لها ولا تخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف وما إلى ذلك – ومن ثم فهى لا تنهض بالتعبير عن المعانى بالدقة والتحديد الواجبين.

ولابد من الإشارة إلى صنائع الإستعمار الفكرى والثقافى الذين تولوا كبر الدعوة إلى العامية، واضعين السم في العسل لينخدع بهم السذج والبسطاء، نافثين في كتاباتهم المخادعة حقدهم الدفين على العربية، لغة القرآن العظيم ووشيجة الوحدة بين أبناء الأمة العربية، ولله در أبى فهر، الأستاذ محمود محمد شاكر، الذى فند في كتابه «أباطيل وأسمار» مزاعم واحد من المرتددين أعداء العربية، وقال في وصفه. وإذا أسود سالخ «وهو أقتل ما يكون من الحيات» يمشى بين الألفاظ فيسمع لجلده حفيف، ولأنيابه جرس، فمازلت أنحدر مع الأسطر والصوت يعلو، يخالطه فحيح، ثم ضباح، ثم صفير، ثم نباح «وكلها من أصوات الأفاعى».

سابعاً: الجهالة والغفلة، فبعضنا يتوهم أن الدطانة بكلمات أجنبية تتخلل حديثه، أو أن عدم المعرفة بلغتنا الأم، إنما يعطيه تميزاً، وربما كان هذا من عقابيل الاستعمار الفكرى والمعاناة من عقدة الأجنبى، والحقيقة هى أن قلة قليلة منا نحن أبناء العربية هم الذين يجيدون لغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية، والشواهد على ذلك كثيرة تشاهدها في خريجى الجامعة وفي رجال الصحافة والسياسة والإعلام، ومثل الذى يخلط في حديثه كلمات عربية وأخرى أجنبية كمثل الغراب الذى أراد أن يقلد الحجلة في مشيتها في حكايات كليلة ودمنة، فلا أجاد مشى الحجلة ولا احتفظ بمشيته، وإنما انتهى به الأمر إلى طريقة في المشى غريبة تثير الضحك والاشفاق. والذين يقحمون الكلمات الأجنبية في أحاديثهم عاجزون في الأغلب عن التعبير عن أنفسهم بلغتهم الأم،

وهو أمر مخجل ومخزن.

ثامناً: الهجمة الشرسة المتمثلة في تفوق الأجنبى: تفوقه الاقتصادى والعسكرى والتكنولوجى، ونفوذه السياسى وتقاليعه ورذائله وشذوذه وإنحرافاته التى تمادى فيها إلى درك سفيل ، كل هذا جعله في نظر الغافلين المثل والقدوة، وانعكس ذلك بالتالى على لغته التى تلقى الاحترام والإكبار، أما لغتنا الأم فتلقى من أبنائها الهوان.

مقترحات للتغلب على المصاعب التى تواجه التعريب

أولاً: استنفار السلطات لحماية لغتنا الأم، وفي الحديث «من يزع السلطان أكثرُ ممن يزعُ القرآن» ومعناه: أن من يكف عن إرتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى، ويقول المثل الإنجليزى:

Being right without might will get you nowhere.

ومعناه: لن يتحقق لك شيء إذا كنت على صواب أو على حق طالما لم تكن لديك القوة اللازمة للتنفيذ.

وفي هذا الصدد أرى أن تلحق مجامع اللغة العربية برئاسة الدولة، فمن شأن ذلك أن يضفى عليها وعلى قراراتها الهيبة والإلزام، وقيام رئيس الدولة بافتتاح دور الانعقاد السنوى للمجمع سيكون وسيلة ناجحة لذيوع شأن المجمع والإعلام بوجوده - وبذلك يتبدد الخوف من أن تسدل ستائر النسيان على المجمع وأنشطته.

ومن الوارد كذلك العمل على إصدار تشريعات تلزم باستخدام الألفاظ العربية بدلاً من الأجنبية، وبأن تكون أسماء الشركات والحوانيت والمنتجات عربية، ويقع على مجامع اللغة عبء إعداد مشروعات القوانين اللازمة لذلك ودفعها عبر القنوات الدستورية إلى حيز الوجود، وعلى المجامع الاستفادة من خبرة أعضائها وعلمهم ونفوذهم في هذا المجال.

ثانياً: وجوب نشر الألفاظ العربية التى تضعها مجامع اللغة على أوسع نطاق: في الأذاعة وعلى شاشة التليفزيون وفي الصحف والمجلات - على

أن تكون مصحوبة بما دار بشأنها من بحث ونقاش، فتكون محل نظر الناس عامة ونظر المعنيين المهتمين خاصة فيدلون بآرائهم فيها، وتتحقق من وراء ذلك فائدتان:

١- التعريف بهذه المقابلات العربية وتقديمها إلى الجماهير لإقامة نوع من الألفة بها والتعود عليها، مما يسهل في النهاية ذيوعها وانتشارها وإزالة ما قد يصاحبها من وحشة.

٢- غربلتها وتنقيحها، وهذا أجدى في تحقيق الغرض المنشود ألا وهو تسهيل وتيسير ذيوعها بعدما أصبحت مقبولة وسائغة لدى الناس.

وعندنا في مصر تبلغ ساعات الإرسال من شبكات الإذاعة أكثر من ثلثمائة ساعة في اليوم ومن قنوات التليفزيون أكثر من مائة وخمسين ساعة في اليوم. هذا العدد الهائل من الساعات يلزمه قدر هائل من المواد حتى تجد الطواحين ما تتغذى عليه، وليس بكثير أن تخصص ساعة من هذه الساعات الطوال لعرض جلسات مجمع اللغة العربية وإجتماعات لجانه وما يدور حولها من مناقشات وآراء تثرى لغتنا العربية وتقربها إلى قلوب وأذهان أبنائها.

ثالثاً: العكوف على دراسة الطرق المستخدمة لوضع المقابلات العربية للألفاظ الأجنبية «من اشتقاق ونحت وتعريب..إلخ» ودراسة نشأة الكلمة الإنجليزية «من خلال معاجمها الكبرى» للمقارنة والإفادة من هذا وذاك في إيجاد مقابلات عربية أكثر سلامة وقابلية للدوران على الألسن.

وقد أورد «المعجم الوسيط» في متنه ألفاظا معربة وهى التى غيرها العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب مثل الإبريق والإسطبل، وألفاظا دخيلة وهى التى دخلت العربية دون تغيير كالأوكسيجين والتليفون، وألفاظا أقرها المجمع ووصفها بأنها ألفاظ مجمعية مثل الأبابة homesickness داء يصيب

الغريب، وهو شدة حنينه إلى وطنه، ومثل أمم nationalise الشركة أو المرفق: جعلهما ملك الدولة، ولغتنا العربية بحاجة ماسة إلى مثل هذه الألفاظ والمصطلحات يقرها المجمع لتقابل ذلك العدد الهائل من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية. فمجمعنا -- في الأغلب، وضع الألفاظ المجمعية عند تصديه لإدخال ألفاظ ومصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية.

ولقد صادفت في عملى في مجال الترجمة على أمتداد خمسة وثلاثين عاما، الكثير من الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الإنجليزية في مجالات السياسة والتشريع والاقتصاد والعلوم وغيرها، وكان على أن اترجمها إلى العربية، ولأنها غير موجودة في المعاجم الإنجليزية /العربية، كان لزاما على أن أجتهد في إيجاد مقابلات عربية لها وذلك بالرجوع إلى شروحها في المعاجم الإنجليزية، واستنباط لفظ عربى يفى بالمعنى، ولقد جمعت عن هذا الطريق حصيلة طيبة من الكلمات والتعبيرات والمصطلحات أورد منها أمثلة:

مفتقر إلى السيولة المادية Cashstrapped.

ديموقراطية الأغلبية Consensus democracy.

تدبير، إنفاق المال في وجوهه Cost- effectiveness.

إلغاء اللوائح البيرواقراطية deregulation.

تحرير الاقتصاد deregulation of the economy.

المردود الحرام: جزء من قيمة العقد Kickback.

يرده المقاول إلى المسئول في الدولة بالتواطؤ بينهما نظير ترسية المقاولة عليه بطريقة غير مشروعة تحقق للمقاول مكاسب ضخمة.

وأدعو الله أن ييسر لى نشرها، فالنشر – كما تعلمون ليس بالأمر الميسور، وربما كانت صعوبات النشر مما يعوق التعريب.

رابعاً: المراجعة المستفيضة لما وضعناه من مقابلات عربية لألفاظ أجنبية بقصد جعلها أكثر سلاسة وقابلية للتداول والانتشار.

خامساً: تقويم ألسنة الصغار بالوسيلة الناصعة الباهرة – أعنى إلزامهم بحفظ الأجزاء الخمسة الأخيرة من القرآن الكريم في سنوات التعليم الابتدائى بحيث يحفظون جزءاً كاملاً كل سنة، يبدءون بجزء (عم) في السنة الأولى، ثم جزء (تبارك) في السنة الثانية، وجزء (قد سمع) في السنة الثالثة، وجزء (قال فيما خطبكم) في السنة الرابعة، وجزء (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) أو الأحقاف في السنة الخامسة، وبهذا تستقيم الألسنة المعوجة للمعلمين والمذيعين والصحفيين والسياسيين وغيرهم ممن يلوثون الأسماع بنطقهم الشائه لكلمات لغتنا الجميلة.

سادساً: تعريب التعليم الجامعى وخصوصا في كليات الطب والهندسة والعلوم، فإلى جانب كون التعريب مسألة قومية تتعلق بأصولنا وكياننا، أثبتت الدراسات أن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة القومية هو أحد عناصر النجاح في زرع العلم والتكنولوجيا في مجتمع ما، وبينما يدرس الصينيون واليابانيون والروس والألمان والفرنسيون ..إلخ في جامعاتهم بلغتهم القومية، نأتى نحن في آخر الزمان ندرس المقررات في كليات التجارة باللغات الأجنبية، بدلا من أن ينصرف جهدنا إلى التركيز على تعريب المقررات في كليات الطب والعلوم ونجد هذا الاتجاه الخاطئ الغافل يزحف من كلية التجارة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث تحولت السفارات الأجنبية في بلادنا إلى مورد للأساتذة الذين يفدون من لندن أو باريس لإفادتنا عن أفضل الطرق

لتدريس هذه المواد بلغتهم لا بلغتنا، وهكذا أصبحنا غرباء في بلادنا، وعدنا من جديد إلى الغزو الأجنبى لجامعاتنا[٢١].

سابعاً: الدعوة بلا كلل ولا ملل، إلى نبذ العامية التى انتشرت في وسائل الإعلام، وانتقلت منها إلى العامة والخاصة، وتبنى الفصحى بدلا منها، ولتنظر إلى القسم العربى بهيئة الإذاعة البريطانية الذى يحافظ على سلامة العربية وفصاحتها فاستقطب المستمعين المتعلمين وغير المتعلمين على السواء وانقض الجمع من حول اذاعاتنا بعدما عجزت عن إتخاذ الفصحى لغة تخاطب بها المستمعين.

ثامناً: العكوف على وضع معاجم عربية: – لغوية ومتخصصة، متباينة الأحجام والمستويات ومتجددة الطبقات – وذلك لمواكبة التطورات اللاهثة في كل المجالات من حولنا.

وما أحوجنا اليوم إلى صحوة وطنية وغيرة قومية على أصولنا، ولغتنا وديننا، فلقد استشرت العامية وطغت العجمة والرطانة وفي غيبة وعى، وفي سياق محموم، راح أبناء العربية يتبارون في إطلاق أسماء بعضها أجنبى وبعضها مسخ شائه عديم المعنى منحوت من كلمات عربية وأخرى أجنبية، على محلاتهم وشركاتهم ومنتجاتهم – وهى في الأغلب منتجات شائهة مثل أسمائها. والمنتجون إنما أختاروا لها أسماء غريبة لا معنى لها للتغطية على سوءاتها وإنعدام جودتها، يدفعهم إلى ذلك جشع وشره إلى المكسب الحرام.

---

(٢١) مقال للدكتور عبد العظيم أنيس، بعنوان هموم تعليمية مجلة الهلال، فبراير ١٩٩٦م